لنقل اذن إن العقاد رأى فى شعر شوقى أبلغ النماذج الخاصة بفتنة اللغة ، ورأى الجمهور مفتونا باللغة التى تنافس حرية التفكير والوجدان ، فالفتنة المقصودة لاتقل عن تلك الضرورة التى شغلت عقل العقاد ، والخلاص من فتنة اللغة هو الخلاص من قهر الضرورة الى مراح الحرية التى تغنى بها العقاد فى كل مكان ، يجب ألا نتردد فى أن العقاد حارب جاذبية البلاغة العربية محاربة مستمرة ، ويجب أن نزعم أن هذه البلاغة قد غرست ماسميناه فتنة الصيغ والألفاظ ، أصبح القارىء أسيرا لأنماط من التصور أو أنماط من صناعة اللغة تعوق حرية العقاد أو حرية الباحث عن النمو والنهوض والتحرر من كل قيد إلا قيد الحرية نفسها ، من حيث هى عطاء وتكريم وتنظيم .

هذه هى المسألة الحقيقية فى أدب العقاد النقدى ، مسألة الثورة على نظام معين فى قبول الألفاظ والأساليب ، نظام مخزون مفضل يبحث عنه القائل واعيا أو غير واع ، ومن ثم يبدو مانسميه التعبير عودا مقبولا الى هذا النظام ، أو عودا لايخلو من العذوبة والسلاسة التى حاربها العقاد ، لأنها سلاسة لاتخلو من التخدير ، وهو إنما يبحث عما يسميه باسم السرائر المتيقظة ، فموسيقى الشعر ذاتها تخضع للحساب ، كما يخضع كل شىء آخر ، والجمهور فى رأى العقاد يسره من الانسجام أو العذوبة أو السلاسة مايضر تلقيه للحياة . ولم يكن العقاد هادئا فى تعقبه وبحوثه ، كان غاضبا لأن القارىء أو كثرة القراء محتاجون الى اليقظة ، ولايقظة بغير استثارة ومعاندة ، وهذا مافعله العقاد .

كان شوقى يأسر السامعين والقارئين لأنه يحسن تمثل الفتنة المدعاة باللغة ، ولأنه يحيل هؤلاء السامعين القارئين على هذا المعين الموروث الذى اكتسب قوة طاغية يصعب أن تقاوم . كانت اللغة الفاتنة عند شوقى هى اللغة التى خاصمت الإحساس بالفردية أو الإحساس بالحرية ، لأن الفردية مغزاها أن اللغة ليست نظاما عاما رسمت ملامح تأثيره من قبل ، ولذلك لا غرابة إذا رأينا العقاد يريد شيئا كبيرا ، يريد أن يقضى على أنظمة تعشق اللغة ، هذه الأنظمة التى تصور فى حقيقة الأمر فلسفة الضرورات أو فلسفة القهر فى عبارات العقاد ، فالقصر المستعمل فى البيت السابق هو مثل من أمثلة الضرورات ، والإيجاز المفضل هو الحاسة السحرية التى لا ترضى العقاد .

كذلك قرأ البيت ، وأصبحت الأخلاق فى بقائها وذهابها قدرا مقدورا ، وسرا مسحورا ، وأصبح هذا التقابل بين البقاء والذهاب فرضا مسلطا على الرقاب ، فلا